

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإذا ألقى أحدنا سمعه أو صوب
نظره إلى أخلاق الناس اليوم في التعامل مع
الآخرين على اختلاف أقدارهم وحقوقهم؛
ساءه كثير من أخلاقهم، وأدهشه معظم
تصرفاتهم، دُع عنك ما يقع من كثير من
النساء اليوم عند مشيهن كاشفات عن
عوراتهن ومفاتهن، وعند حديثهن بخضوع
وتكسر، ولا أراك إلا مستفهماً مستكراً؛ أين
ذهب الحياء؟ وهل فقد عند هؤلاء؟ أسأل
الله أن يغفر لنا وللمسلمين والمسلمات وأن
يهدينا سواء السبيل.

إن الحياء-أيها اللبيب- حين يوجد في قلب
صاحبه يبعثه على اجتناب القبيح ويمنعه
من التقصير في حق صاحب الحق.

ولا عجب أن وردت الأحاديث النبوية الثابتة
الشريفة في بيان فضله وعظيم أمره، وبيان
حقيقته.

وفي هذه المقالة طرف يسير من فقه الحياء
وبيان أهميته، لا سيما عند النساء؛ لعل
ذلك يكون دافعاً لنا لتتخلق بهذا الخلق
الرفيع (الحياء) في حضرنا وسفرنا وذهابنا
وإيابنا، وفي بيوتنا ومع الناس في معاملتنا
وسلوحياتنا في كل مكان وزمان.

اعلم أخي الكريم-أرشدك الله لطاعته- أن
صفة الحياء محمودة من كل وجه؛ ولذا
فقد تتابعت رسالات الأنبياء على ذكرها،
والوصية بها، ويدللك على هذا حديث أبي
مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله
عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ
تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». (صحيح البخاري؛

الحياء خلق جميل وفي النساء أجمل

أ. د محمد حامد

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وطلم القرآن بجامعة الأزهر



٣٤٨٤). وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: أي: مما اتفق عليه الأنبياء: أي: إنه مما ندب إليه الأنبياء ولم يُنسخ فيما نسخ من شرائعهم: لأنه أمرٌ أُطبقت عليه العقول» (فتح الباري (٥٢٣/٦)).

وقد قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه: «الحياء لا يأتي إلا بخير» (صحيح البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)). وفي رواية لمسلم «الحياء خير كله». وأقال: «الحياء كله خير».

وإذا كان الحياء في الرجال حسناً جميلاً: فإنه في النساء أحسن وأجمل.

وقد وصف الله المرأة في قصة كليم الله موسى عليه السلام بقوله جل ذكره: **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (سورة القصص: ٢٥).

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: «تمشي على استحياء» أي: ليست بسلف من النساء خراجة ولأجاة، واضعة ثوبها على وجهها. والمراد أنها محتشمة لا تكثر من الخروج من بيتها، وإنما تخرج لمصلحة وحاجة مع مراعاة الستر والصون والعفة.

وبعض المفسرين جعل الحياء من صفة قولها وحديثها أيضاً، وقد نهى الله أمهات المؤمنين عن الخضوع بالقول: فقال عز وجل: **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** (سورة الأحزاب: ٣٢).

قال القرطبي في تفسيره (١٧٧/١٤): «أمرهن الله أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلاً، ولا يكون

على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكاملة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المربيات والمومسات. فتهاهن عن مثل هذا». وقد جاء في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها» (صحيح البخاري (٣٥٦٢)، وصحيح مسلم (٢٣٢٠)).

والعذراء البكر، وخدرها: سترها، والتشبيه بالعذراء لكونها أكثر حياءً من غيرها، والتقييد بقوله (في خدرها) مبالغة لأن العذراء يشدد حياؤها ويعظم في الخلوة أكثر من خارجها؛ لأنها مظنة وقوع المعاشرة والمعاملة والمخالطة.

إننا بحاجة ماسة إلى الحياء في أقوالنا وأفعالنا وتصرفاتنا ومنبع الحياء وأساسه: الحياء من الله عز وجل. وتعظيم أمره ونهيه، والوقوف عند حدوده.

وإذا سألت: وما الباعث للعبد على الحياء من الله سبحانه وتعالى؟

فأقول: من أعظم البواعث على الحياء وتقويته في قلبك: استحضارك ويقينك بقرب الله منك، وقد قيل: «خَفَ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ واستحي منه على قَدَرِ قُرْبِهِ مِنْكَ».

ثم عليك بعد هذا أن تلتفت إلى أمرين مهمين يوقضان الحياء فيك:

الأول منهما: استحضار نعم الله عليك وإحسانه إليك

فكم لله علينا من نعمة ظاهرة وباطنة في أحوالك كلها! قال تعالى: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** (سورة النحل: ٥٣).



والثاني: معرفتك بتقصيرك وتضيقك في جنب الله عز وجل.

إن استبصار العبد بتقصيره وذنبه وظلمه لنفسه مع استحضاره لنعم الله عليك يجعله في حياء من الله أن يجترئ على محارمه، أو أن يعصي أمره، أو يُصرّ على ذنبه. وانك تلحظ هذا جيداً في هذا الذكر العظيم الذي سَمَّاه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بسيد الاستغفار.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»؛ قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة» (صحيح البخاري ٦٣٠٦).

والشاهد في الحديث قوله: (أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي)؛ أي: أعترف لك بالنعمة وأعترف لك بالتقصير.

ويتولد الحياء عند رؤية التقصير والآلاء.

يَا حَسْرَةَ الْعَاصِينَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ

وَلَوْ أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِلَى الْجَنَاتِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَيَاءُ مِنَ الَّذِي

سَتَرَ الذُّنُوبَ لَأَكْثَرُوا الْحَسَرَاتِ

وهذا الحياء شعبة من شعب الإيمان يدفع العبد إلى أن يتعامل مع الناس بما يليق فلا يُقصر في حق صاحب الحق، ولا يظلم ولا يبغي، بل لربما تجاوز عن بعض حقوقه حياءً واغضاءً واكراماً

لينال بذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» (صحيح البخاري ٩٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه؛ فإن الحياء من الإيمان» (صحيح البخاري ٢٤)، وصحيح مسلم (٣٦).

ومعنى: «يعظ أخاه، أي: يعاتبه فيه؛ ولذا جاء في رواية للبخاري (٦١١٨):» يقول: إنك لتستحيي، حتى كأنه يقول: قد أضرب بك».

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعاتب وقال: «دعه» أتركه على فعل الحياء وكف عن نهيه؛ وذلك لأنه إذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جرّ له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق لا سيما إذا كان المتروك له مستحقاً (فتح الباري ٧٤/١). ولا يعني ذلك أن من طالب بحقه واستوفاه ليس بحيي، وإنما المراد من وجد فيه ذلك الخلق السني فإنه لا يلام؛ فإنه على خير. وقد دفعه إلى ذلك حياؤه وإيمانه.

واني ذاكركَ أيها القارئ الكريم بعض التنبيهات والفوائد المهمة في موضوع الحياء وفقهه:

أولاً: الحياء لا ينبغي أن يحمل صاحبه على ترك النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأفعال الخير والبر.

ومن أخل بهذه الفضائل فإن فعله في الحقيقة ليس حياءً، وإن شابهه في الصورة بل هو كما قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٥/٢): «عجز وخور ومهانة، وإنما تسميته حياءً من

إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازاً لمشابهته
الحياء».

ثانياً: الحياء لا ينبغي أن يحمل صاحبه على
ترك سؤال أهل العلم فيما يحتاج إليه من أمر
دينه وصلاحي أمره؛ فإن العلم يضيع بسبب ذلك.
قال مجاهد رحمه الله: «لا يتعلم العلم مستحي
ولا مستكبر»، وقالت عائشة رضي الله عنها:
«نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن
يتفقن في الدين».

والمطلوب أن يسأل المرء عما يحتاج إليه بأدب،
وقد سألت المرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن طهارتها وغسلها من الحيض، وكذا سئل عن
غسل المرأة بل واحتلامها.

عن أم سلمة، قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله
لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا
احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا
رأت الماء»؛ فغطت أم سلمة، تعني وجهها، وقالت:
يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: «نعم، تربت
يمينك، فبم يشبهها ولدها» (صحيح البخاري
١٣٠)، (صحيح مسلم ٣١٣).

ثالثاً: الحياء الحقيقي يحمل صاحبه على لزوم
الأوامر واجتناب النواهي وحفظ الحدود.
ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله تعالى.

رابعاً: حياء المرأة يزينها ويعلي قدرها فما
أعز تلك الفتاة التي تصون نفسها عن أن تكون
عُرْضة للعابثين بنظرة أو كلمة، ولها في تلك المرأة
المبشرة بالجنة القدوة الحسنة.

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس:
ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال:
هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله

لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك»؛ فقالت: أصبر، فقالت:
إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا
لها» (صحيح البخاري ٥٦٥٢)، (صحيح مسلم
٢٥٧٦).

فلتأمل نساؤنا وبناتنا كيف أن المرأة تتحمل
الصراع، ولكنها لا تتحمل الكشف مع أنه لن يكون
عن قصد منها أو اختيار وإنما لمرض واضطرار.

فيا من عافاك الله وجعلك وصحح جسمك،
اتقي الله واستحي منه سبحانه، وصوني نفسك
حفظك الله ورعاك.

ودونك هذا الموقف الجميل من أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها وهو يجسد لنا الحياء في أبهى
صورة، وأجمل منظر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أدخل
بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم،
واني واطئ ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما
دُفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة
علي ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه»
(أخرجه الحاكم في مستدركه ٤٤٠٢) وقال:
«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه».

وصدق من قال:

إن الفتاة حياؤها ميزان

فيه الأمانة تزدهى وتزان

أخت النقاء هذا الحياء تمسكي

فيه العفيفة في الحياة تصان

كوني كجوهرة يشع نقاؤها

يُخزى بنور عفافها الشيطان

نسأل الله سبحانه أن يحفظ نساءنا ويرزقهن
الحياء والعفة، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوالنا
ويحسن أخلاقنا ويهدينا صراطه المستقيم.

